

المدح عند حسان بن ثابت و تأثيره في شعر شمس الدين غمغين و المفتي قوام الدين

الدكتور سيد عبد المجيد أندراي

لقد طلع في أفق الهند نجم ساطع في عام ١١١٤ هـ واشتهر بشاه ولي الله المحدث الدهلوي. جميع العلوم التي ظهرت في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة من الثقافة و التاريخ و الدين و السياسة و الفلسفة , كلها ينتمي إلي ذلك العالم الفذ و كان قلبه شغوفاً بحب النبي صلي الله عليه و سلم يقول:

إذا مدحت رسول الله يوماً فحاذر ان تقصر في الثناء^١
فالحذر واجب علي من يمدح رسول الله صلي الله عليه و سلم
حتى لا يعتريه نقص في المدح.

٢

باخذ ديوانه باش و با محمد هوش دار

فالمدائح النبوية فن من فنون الشعر وضعه كعب و حسان بن ثابت رضي الله عنهما . نما و ازدهر حتى أصبح صنفاً بذاته. و الحق أن الله أعطي النبي منزلة عالية حتى يعجز الإنسان عن مدحه. لذلك قال الشاعر أسد الله خان غالب :

غالب شنای خواجه به یزدان کذا شتم

كان ذات باک مرتبه محمدان است^٢

كان حسان شاعر المدح في الجاهلية ثم صار شاعر الرسول صلي الله عليه و سلم و شاعر اليمن من بعده و قد عالج موضوعات عصره منها: فخر، حماسة، مدح و غيرها. هذه الموضوعات تحتاج إلي ألفاظ جزلة و أسلوب متين و كان الشعراء في الجاهلية يستعملون

١ . نور الأظهر: سيد شمس الدين غمغين
٢ . ديوان غالب اردو: غالب اكيدي، دلهي
٣ . ديوان غالب فارسي: غالب اكيدي، دلهي

التراكيب الغريبة و التعبيرات التقليدية و لكن الإسلام هذب شعرهم. لما هاجر النبي صلي الله عليه وسلم إلي المدينة أسلم حسان مع الأنصار ودافع عن النبي و الإسلام بشعره و كان عبد الله بن رواحة و أبو سفيان و عمرو بن العاص قبل الإسلام يهجون الانتصار و كان هجاؤهم يؤلم النبي صلي الله عليه وسلم فقال "ما بال أقوام ينصرون الله و رسوله بأسلحتهم فقط ولا بلسانهم". أو كما قال عليه الصلاة والسلام. فقال حسان: أنا له يا رسول الله فلساني طويل و أخرج لسانه و مده إلي أنفه و قال : والله لو وضعت علي صخر لانشق.

لساني صارم لا عيب فيه و بحري لا تكدره الدلاء
و قد دافع عن الرسول صلي الله عليه و سلم حتي لقب " بشاعر الرسول ". و من أجمل المدائح النبوية قوله :

و أحسن منك لم تر قط عين وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء
و قال في هجاء ابي سفيان:

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاء
و قال في نهاء القصيدة:

فإن أبي و والدي و عرضي لعرض محمد منكم وقاء
وكثير من الشعراء في كشمير قد حاولوا محاولات جيدة في المدائح النبوية بالعربية منهم المحدث أنور شاه الكشميري ولكن هذه المحاولات لم تظهر لعامة الناس من تقلبات الدهر. أصدر السيد شمس الدين غمغين ديوانا علي منوال مدائح حسان بن ثابت و سماه "نور الأظهر". و فيه إثنان و سبعون بيتا و هو مرآة صافية للمدائح النبوية و المحاولة الثانية للمفتي قوام الدين و هي قصيدة " كبروية " و سأستعرض لها بالإجمال و مميزة هذه القصيدة أن صاحبها سار فيها علي طريقة حسان و هؤلاء الشعراء يستحقون التقدير لأن قليلا من شعراء كشمير قالوا الشعر في المدائح النبوية باللغة العربية و الأدب العربي. قال محي الدين ابن عربي و هو شاعر صوفي و مفكر معروف في ديوانه "ترجمان الأشواق":

صح عند الناس أني عاشق غير أن لم يعرفوا عشقي لمن
وقد غير الإسلام تاريخ كشمير عند ما ورد إليها علي بن شهاب الدين الهمداني أول مرة في ٧٧٤ للهجرة ثم أتى إليها مرة

أخرى في عام ٧٨١ للهجرة و معه نخبة من العلماء و المبلغين و أصحاب الحرف و الفنون و كان حاكم كشمير السلطان قطب الدين يعرف منزلته، قدره و أهميته فأيده و حث أصحابه على تبليغ الدين و ترويح الحرف و الصنائع في كشمير.

الجد الأعلى لسادات أندرابي هو من السادات الذين جاؤا مع السيد علي الهمداني إلي كشمير و منهم شمس الدين غمغين المولود في أونتني بورة بلوامة في ١٣ سبتمبر ١٩٠٤ الميلادي، تعلم الإبتدائية علي يد جده عبد الصمد ثم دخل في مكتب عمر شيخ و تعلم عنده القران والحديث و الفقه و الفارسية و ظهرت رغبته في الشعر و ألف عدة كتب في العربية و الفارسية و الكشميرية و يدور حديثنا حول الشعر العربي عنده و من أشهر مؤلفاته "جشمه شيرين" "شمع روشن" "تعويذ القلوب" وغيرها والقصيدة العربية قد طبعت و لكن لم يشتهر أمرها، و فيها اثنان وسبعون بيتا مدح فيها النبي صلي الله عليه وسلم علي غرار حسان بن ثابت. الباحثون في كشمير يملكون بالمؤلفات العربية سريعا دون التعمق مع أن هناك كثيرا من الكتاب لم تصل كتبهم إلي عامة الناس لضعف المواصلات هذا ما لقيته المخطوطات في كشمير و لو تعمقنا قليلا لظهرت نتائج مثبتة كما ظهرت هاتان القصيدتان بجهد المتواضع، قال غمغين في مطلع القصيدة:

معزك يا بني ذو الكبرياء فيحسن تحسينا انت و راء
والدين الحق يحي القلوب الميتة. ما أحسن ما قاله كاتب شهير
أحمد أمين الدين الحق إكسير يحل في الميت ويحي:
ثم يقول غمغين:

فمن مزمل مدح لتوبتك و من مدثر وصف رداء
نلت رتبة ما لا لأحدلقد صلوا بخلفك أنبياء
وفي غزواتك نصر من الله و من ايا فتحنا لك لواء
بحسبك أحسن التحسين صنفوا بجيرا، كعب، حسان براء
لذلك اشتهرت قصيدة حسان في العرب والعجم و عملت عمل السيف:
و إن أبي و والدي و عرضي لعرض محمد منكم و قاء
لساني صارم لا عيب فيه و بحري لا تكدره الدلاء
هجوت محمدا فأجبت عنه و عند الله في ذاك الجزاء

و قد نظم شمس هذه القصيدة في مدح رسول الله صلي الله عليه و سلم بوجهة نظر خاص و إن كان يعتريه قصور في تقطيع الشعر إلا أنها تدل علي شغوفة بالعربية و صحة فكره و له كثير من المخطوطات المفقودة إلي الان و قسم اللغة العربية بجامعة كشمير يمكن له أن يعتني بها حتي يقدمها للناس و يكون ذلك زادا للباحثين و يعينهم في ثروة العرش العلمي و من المؤلفات غير المطبوعة له "رموزات قران" و "شأن ذا القربي" و احوال الصالحين و غيرها.
و توفي غمغين في ٢٧ مايو ١٩٩٨ للميلاد و عمره ست و تسعون سنة و كان آخر ما تلفظ به:

كار من آخر شد كار زمن كاري نشد

والجهد الخطي الثاني في العصر الحديث هو قصيدة "كبروية" للمفتي قوام الدين الأعظم محمد شريف الدين وقد كتب هذه القصيدة في جمادي الثانية سنة ١٣٧٦ هـ و عندي نسخة خطية منها وكتب فيها "أقدم هذه القصيدة إلي السيد محمد يوسف كراهه بوري بخالص التقدير و ختمها بالتوقيع والقصيدة والقصيدة ليست من المدائح النبوية و لكنها في مناقب الشاه همداني وقد كتب بخط جميل مراعية البحور و الأوزان وفيها البحور والأوزان وفيها أربعة وثلاثون بيتا بأسلوب سهل ومن حيث الفصاحة والبلاغة فيها التشبيب الحسن ومن حيث البدائع ففيها إيجاز فريد بنوعيه:

علي عالي اعلي المقام إمام الفضل صدر الاحتشام

خليفة مصطفى علما و عملا و تبليغا إلي خاص و عام

هو الهادي إلي دين قويم بعون المالك الملك الأنام

إمام العارفين شرقا و غربا أمين الشرق في جميع العظام

هو المنعوت في الولاية جمعا عظيم المن في دار العظام

هو الباني لدين الله سعيا سوي السيف و إلقاء السهام^١

والخلاصة أن الشاعر المذكور قد أحاط يعلي بن شهاب الدين الهمداني الملقب بعلي الثاني و بشخصيته العبقرية و جهوده في سبيل نشر الدين في كشمير , كل ذلك بأسلوب حسن و تعبير جميل و لم نشر الدين في التبليغ الذي هو مهمة النبي صلي الله عليه وسلم حتي إنه أرخ تاريخا عندما جاء إلي كشمير في كبر السن حيث كان عمره سنا

^١ . قصيدة كبروية: المفتي قوام الدين، كشمير

و أربعون و الأبيات الأتية تكشف لنا هذه الأمور:
هذا سبط أحمد بن بتول سبية المرتضي بدر الكرام
دعوت الخلق نحو الحق فضلا جزاك الله خيرا من أنام
و أنت محسن أحسنت للناس نشكرك واجب عمر التمام
هلموا ايها الطلاب حقا علي باب بأداب الكلام
و تعتبر هذه القصيدة إسهام كبير من المفتي قوام الدين في سبيل
ترويج اللغة العربية و الأدب العربي في كشمير . و قد بذلت جهدي
في إخراج هاتين القصيدتين و الحق أن هناك مئات من المخطوطات
المفقودة حتي الآن و قسم اللغة العربية يمكن له أن يقوم بدور بارز
في ترتيب هذه الشذرات و تهذيبها و أنا مستعد للتعاون معهم في هذا
المجال. فإذا ظهرت هذه النوادر فإن ثروتنا العلمية تكون شاهدة
أعيان للمتأخرين.

المراجع :

- ١ . أسرار الأبرار: شيخ داود
- ٢ . أب كوثر: شيخ محمد أكرم، فيروز سنز، باكستان
- ٣ . تاريخ اقوام كشمير منشئ محمد الدين فوق، لاهور
- ٤ . نور الأظهر: السيد شمس الدين غمغين، بلوامة كشمير
- ٥ . دستور السالكين: علامة داود خاكي
- ٦ . كشمير مين اسلام كي اشاعت: د سيج محمد عارف بخاري
- ٧ . سير الأولياء: أمير خرد، دلهي
- ٨ . كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر: إين خلدون، بيروت ١٩٥٨
- ٩ . خلاصة المناقب: ملا نور الدين بدخشي، مكتبة جامعة كشمير
- ١٠ . ديوان حسان بن ثابت
- ١١ . تاريخ الأدب العربي: أحمد حسن الزيات، دار المعرفة بيروت، لبنان